المحاضرة الثالثة: أساليب الإنتاج الاجتماعية

ما يميز أســـلوب إنتاج عن آخر هو طبيعة القوى المنتجة طبيعة وعلاقات الإنتاج الاجتماعي السائدة من أفكار ومعتقدات وفلسفات وقيم وحتى أنظمة حكم.

وقد عرفت البشرية منذ البدايات الأولى لظهور الجماعات أساليب مختلفة للإنتاج نحاول تلخيصها في:

أولا: أسلوب إنتاج المجمع البدائي (المشاعية البدائية)

أ .وصفه:

يعتبر أول نظام اقتصــادي إجماعي عرفته البشــرية وجد منذ ألاف الســنين وللملاحظة فإنه كان مشتركا بين الشعوب الأرض بأكملها، ففي الفترة التاريخية حياة الإنسان كان الأفراد مهددون بالهلاك في أي لحظة لحداثة خبراته ومعارفه في مواجهة قوى الطبيعة، وقد كان الأفراد يعيشون في حالة من التوحش يقتاتون بما توفره الطبيعة وحدها من موارد، وللعلم فإن هذه المرحلة لم يستعمل الإنسان إلا أدوات بسيطة، كالحجر والعصــا، وبعد فترة ليست بقصــيرة تمكن من تطوير هذه الوســائل وإدخال تحســينات فيها مثل إكتشاف النار التي أصبحت تقيه من البرد ووسيلة للدفاع بها عن نفسه من الحيوانات المفترسة.

ب .طبيعة علاقات الإنتاج:

كانت علاقات الإنتاج في هذا النظام في مستوى منخفض من تطور القوى الإنتاجية والحالة البدائية لوسائل العمل والتقسم الطبيعي للعمل حسب الجنس والسن. **" وكان أســاس علاقات الإنتاج الملكية المشــتركة لوســائل الإنتاج، وفي إطار الملكية المشــتركة، كانت هناك أيضًــا ملكية خاصــة للأســلحة والملابس والأواني المنزلية وكان الإنتاج يتم جماعيا بواسطة العشــائر وكان الناتج يقسم إلى أجزاء متســاوية وستهلك جماعيا".**

وللإشارة فإن الإنسان في هذه المرحلة لم يكن يستطيع العمل بمفرده في مواجهة قوى الطبيعة وحماية نفسه من هجمات الحيوانات المفترسة والجماعات الأخرى.

وللإشارة أيضا فإن نظام المشاعية البدائية قائم على أساس المساواة وإشراك العنصر المؤنث في العمل والإنتاج وبهذا ظهر أول تنظيم للعمل بين الجنسين وتخصص كل واحد منهما في عمل معين . وقد استمر الأفراد في تطوير أدوات العمل خاصــة المعدنية مما أهل لظهور مجموعة متخصــصــة في صــنع أدوات العمل، اعتبرت هذه المجموعات بمثابة الطبقة الحرفية التي زادت من مستوى الكفاية الإنتاجية مما أدى إلى تحقيق فائض في السلعة المنتجة لتلك الجماعة وفي مقابل ذلك تؤدي إلى نقص في سلع

أخرى التي تحتاجها تلك الجماعة، ويفتقر جهازها الإنتاجي إلى توفيرها بالقدر الذي يلبي حاجياتها، وفي مقابل ذلك توجد جماعة أخرى ونتيجة لظروف طبيعة وجغرافية تخصصت في إنتاج سلعة أخرى وبكميات زائدة عن الحاجة، وهنا تظهر الحاجة إلى التبادل بين الجماعتين أي مبادلة فائض كل جماعة بفائض الأخرى، وهذا بالضبط ما حدث في المجتمع البدائي وأصبحت المبادلة تقوم على أساس تبادل السلع بعضها ببعض أو ما يعرف بنظام المقايضة.

تفسخ المجتمع البدائي:

هناك مجموعة من العوامل ساهمت في تفسخ المجتمع البدائي منها:

- تطور القوي الإنتاجية بسرعة كبيرة مما أدى إلى الزيادة في وتيرة التقسيم الاجتماعي للعمل.

- نشـأة وتطور التبادل بين المجموعات وظهور إمكانية التحرر من العمل الجماعي والعمل فرديا نتيجة تطور أدوات العمل.

- ظهور التفاوت الإقتصادي بين أفراد الجماعات مما أدى إلى تفكك الجماعة البدائية وبدأ الإنتاج الجماعي والتوزيع المتساوي للناتج يقيد القوى الإنتاجية وفي المرحلة العليا من التطور النظام المشـاعي البدائى تم تقييم كبير للعمل" **هو الفصل بين الحرف والزراعة وسهل هذا الحدوث انهيار أكبر في النظام المشاعي البدائي وكانت النتيجة ظهور الفقراء والأغنياء ...وحل محل النظام المشاعي البدائي المجتمعات الطبقية مثل النظام العبودي والإقطاع".**

ثانيا :أسلوب إنتاج المجتمع العبودي.

يعتبر أول مجتمع طبقي نشأ على أنقاض النظام المشاعية البدائي، فهذا المجتمع يقوم على أساس الانقسام الطبقي بين طبقة الأسياد المستغلة للطبقة العبيد أو بعبارة أخرى الانقسام المجمعي بين طبقة من يملكون وهم الأسياد وبين طبقة من لا يملكون وهم العبيد. وفي هذا النظام أصبح العبيد القوة الإنتاجية.

أ .خصائص أسلوب الإنتاج في المجتمع العبودي:

يتميز أسلوب إنتاج في المجتمع العبودي بالخصائص التالية:

1. الملكية:

عرف المجتمع العبودي ظهور لأول مرة في تاريخ البشـرية ما يسـمى بالملكية الفردية والمطلق لوسائل الإنتاج والمتمثلة في أدوات الإنتاج بكل أشكلها بما فيها امتلاك الإنسان في صورة عبيد مجرد من أبسـط الحقوق إلا أنه أصـبح الوسـيلة الأسـاسـية للإنتاج وقد تجاوزت المجموعات في هذه المرحلة التاريخية من العمل الضروري أي العمل لإشباع الحاجات إلى العمل من أجل تحقيق الفائض، مما زاد من إكتشاف أدوات جديدة لإنتاج المزيد من الفائض خاصة في الجانب الزراعي.

.2ظهور النقود وازدهار طبقة التجار:

ويرجع ذلك إلى تطور وسائل العمل وتوسع نظام المبادلة، مما خلق مشكلة تقييم المبادلة بمعنى على أي أساس تقييم السلع المبادلة؟ وماهي نسبة المبادلة بين السلع المختلفة؟ وبالتالي كيف يمكن مواجهة معدلات التبادل المختلفة المتعددة بتعدد السـلع والتي هي الأخرى تخضـع لتقلبات متعددة مرتبطة بتغير خصائص كل سلعة وممكن بتغير الزمان والمكان.

ولتجاوز هذا الإشـكال ظهرت النقود كخزان للقيمة ووسـيلة للمبادلة وقد سـاهمت النقود بشـكل كبير في ازدهار طبقة التجار وثرائهم.

.3 طبقة علاقات الإنتاج:

عبر أفلاطون عن هذه العلاقات في مقولته الشهيرة قائلا:

" **الرقيق هو الأداة الحية، في حين أن الأداة هي الرقيق الذي لا حياة فيه** " مما يعني أن العبيد كانوا الأداة الرئيسية لإنتاج الخيرات المادية ليس لسد حاجاتهم بل لسد مختلف حاجيات الأسياد والتي هي في تزايد مستمر.

يمكن إختصار طبيعة علاقات الإنتاج في المجتمع الإقطاعي بالمجتمع الطبقي بين طبقة ملاك

وسائل الإنتاج "الأسياد" وطبقة العبيد الذين هم في حد ذاتهم أحد وسائل الإنتاج وبذلك أصبحت علاقات الإنتاج تقوم على أساس استعباد الإنسان للإنسان.

ثالثا :تفسخ النظام العبودي.

هناك مجموعة من العوامل ساهمت في تفسخ هذا النظام يمكن ذكر بعضها:

أ .ثورات العبيد:

كان الأسياد يفضلون استخدام العبيد كوسيلة رئيسية للإنتاج باعتباره أقل تكلفة مما خلق جو من التوتر بينهم وبين الأسياد، فالرقيق كان يسخر في استصلاح الأراضي الزراعية واستثمارها وغيرها من الأعمال الشاقة وكان يلقى سوء العقاب وأشكال من القهر والظلم والهوان، مما أدي بالعبيد للقيام بالعديد من الثروات ضد الأسياد أدت إلى أضعاف الإمبرطوريات وخلق المقدمات لنهيارها، وهذا الانهيار أدى إلى تفسخ المجتمع العبودي، وكسر كل علاقات الإنتاج السائدة في هذا المجتمع.

ب .التراجع الإقتصادي:

يعود التراجع إلى عدة أسباب وعلى رأسها ضعف قدرة الأرض الزراعية على الإنتاج بكميات مساوية عما كانت عليه سابقًا أو ما يطلق عليه الاقتصاديون الكلاسيك "تناقص الغلة"، وذلك نتيجة تكثيف الزراعة عليها ونتيجة قطع الغابات وإشكال صرف المياه العنصر الأساسي في الزراعة مما أدى بالإمبراطوريات إلى السقوط.

ج .احتقار الأسياد والأحرار للأعمال الحرفية والفلاحية:

يتحمل العبيد أعباء الأسياد، المواطنون الأحرار، إنتاج ضرورات العيش، فهذه الفئة "العبيد" التي تعمل لكسب قوتها وقوت غيرها لا يجوز لها أن تعد ضمن المواطنين، فالمواطن لا يجب عليه أن يعيش حياة أرباب الآلات والحرف، كون أن مثل هذه الحياة تحط من قيمة وشرف الإنسان ولا تتفق مع الفضيلة على حد تعبير **الفيلسوف اليوناني أرسطو** كما أنه لا يجوز إطلاقًا للمواطنين العمل في ميدان الفلاحة والزراعة لأنهم في حاجة إلى فراغ، فهناك فرق بين أحقية امتلاك الأرض والعمل فيها، حيث أن فلاحة الأرض متروك للعبيد، مما أدى إلى أضعاف الإنتاج واعتبارهم عالة على المجتمع . مما ساهم في تفسخ المجمع العبودي.

ثالثا :أسلوب إنتاج المجتمع الإقطاعي.

عجلت الغزوات البربرية سقوط الإمبراطوريات بعد ضعفها على أكثر من صعيد، حيث انهارت السلطة المركزية المجسدة في الإمبراطور وحل مكانه كبار الإقطاعيون أصحاب السلطة واللذين يعتبرون القادة الكبار للقبائل البربرية التي غزت الإمبراطورية الرومانية وقسمتها إلى قطاعات واسعة من الأراضي، بحيث أصبح كبار ملاك الأراضي يتولون شؤون الحكم في كل مجالات الحياة بما فيها خوض الحروب. أصبح يطلق عليهم السادة الإقطاعيون، فجوهر الإقطاع هو الارتباط بين التبعية وحيازة الأرض وإذا حاولنا تقديم تعريف لهذا النظام الذي نشأ على أنقاض النظام العبودي فممكن تقديم التعريف التالي:

"هو نظام حربي وسياسي واجتماعي وقضائي كما أنه نظام للحقوق والواجبات يحكم المجتمع، وهو يوضح ويحدد موقف الفرد وعلاقته بما هو أعلى منه وبمن هو أدنى منه، والنظام الإقتصادي فيه يعتمد أساسا على الزراعة وتلك الأرض كان يهبها الإمبراطور للملوك ويمنحها الملوك بدورهم للأشراف والنبلاء، وأولائك لمن دونهم وهكذا إلا أن تصل إلى رقيق الأرض في أدنى السلم الاجتماعي، ويتوارث استعمال تلك الأراضي من الأب إلى إبنه بعد أن يلتزم بأداء واجباته إلى السيد الإقطاعي".

.1خصائص أسلوب الإنتاج في المجتمع الإقطاعي:

أ .يعتبر النشاط الزراعي أهم نشاط اقتصادي وفقًا للعلاقة الطبقية القائمة بين طبقة الأسياد أصحاب الأراضي وطبقة رقيق الأرض.

ب .تمثيل القوى الإنتاجية والتي تشمل أساسا الأرض والعمل ورأس المال والمهارات التنظيمية في كل من عامل الأرض والعمل.

ج .العلاقات الاجتماعية للإنتاج تدور حول الأراضي والتي أصبحت البلورة المادية للملكية العقارية فهي ترتكز على اقتصاد يغلب عليه الطابع الزراعي، بحيث يعطي حق إستغلال واستعمال هذه الأرض لمن يقومون بالإنتاج الزراعي. أما حق ملكية الأرض فهو للأسياد بمعنى أنهم لا يملكون الحق المطلق على الأرض، فقط يكون لكل منهم حق على ناتج الأرض.

د .الروابط الشخصية: لا يتمتع جزء من العاملين في الأرض بكامل حرية الشخصية، إلا أنهم ليسوا في درجة العبيد ولكنهم أقنان مرتبطون بسيدهم الإقطاعي وبالأرض، حيث تلعب الكنيسة الدور الأساسي في تبرير هذه الروابط وفي نشر الأفكار الإقطاعية كونها هي الأخرى تملك نسبة من الأرض مثل الملك والإقطاعي.

ه .محدودية دور وأهمية السوق في الحياة الإقتصادية: على الرغم من تزايد أهميتها بمرور السنين، فالجماهير الريفية كانت تنتج للاكتفاء الذاتي وتسلم جزءًا من الإنتاج إلى الملوك والسادة، فالمزارعون كانوا يقتسمون المحصول مع الملاك أو الأسياد أو المستأجرون ورجال الكنيسة، ولكن مهما كانت العلاقة بين العمال والأسياد سواء كانت إلزامية أو كراهية، فإن المنتجات والخدمات كانت تسلم ولا تباع، وبتعبير أخر لم تكن هناك تجارة أو سوق من نمط العلاقات اليومية، وإنما سوق محدودة تلبي رغبات الإقطاعيين يقوم على تحقيقها تجار ويجري إشباعها بالشراء من الحرفيين.

.2 تفسخ أسلوب الإنتاج الإقطاعي:

دام النظام الإقطاعي في أوربا وخاصة العربية منها قرابة 10 قرون أي 1000 سنة، مثله مثل نظام مشاعية ونظام المجتمع العبودي، ورغم أن مبدأ الحيازة وتبعية كان أساس هذا النظام إلى أن علاقات الإنتاج الذي عرفها تفسخت لعدة أسباب نذكر منها:

- 1 ظهور طبقة التجار وبداية تأثير التجارة : تعتبر التجارة قوة خارجية خارج إطار النظام الإقطاعي والتي مع مرور الزمن حولت الإنتاج الإقطاعي من إنتاج من أجل الاستهلاك المباشر وإشباع الحاجة إلى إنتاج من السوق. أي من أجل المبادلة، فالتجارة ساهمت في ظهور قيمة المبادلة كواقع اقتصادي أدى إلى السعي لجلب السلع ليس من أجل استهلاكها وإشباع الحاجات اليومية وإنما من أجل حيازة النقود.

- 2 بدائية الأساليب الفنية الزراعية أو كذا افتقار الإقطاع للتنظيم الإداري، كما أن تقسيم العمل كان متخلفًا، بالإضافة إلى عدم الفصل بين الإنتاج والاستهلاك، وصعوبة تقدير تكلفة الإنتاج.

- 3 نمو وازدهار المدن كمراكز تجارية داخل الإقطاعات، وظهور الدولة القومية وانتعاشها تجاريا مما دفع بكبار الإقطاعيين بالانتقال للمدن لممارسة النشاط التجاري، بالإضافة إلى بروز وتطور النشاط الحرفي داخل المدن.

- 4 هجرة ونزوح الأقنان نتيجة زيادة الضغط عليهم إلى المدن وترك العمل في الأرض الزراعية.

- 5 عجز النظام الإقطاعي كنظام إنتاجي عن تلبية حاجات الطبقة الحاكمة لمزيد من الدخل يسبب مواجهة الحروب وأعمال السلب والتباهي لإظهار مظاهر الترف والبذخ